الحذف البلاغي في القرآن الكريم

مصطفى عبد السلام أبو شادي

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٢ شارع القماش بالفرنساوي - بولاق أبو العلا -
القاهرة - ت ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١ فاكس ٢٤٨٠٤٨٣

obeikandl.com

وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية،

مكتبة الساعي

الرياض ت ٤٣٥٣٧٦٨ - فاكس، ٤٣٥٥٩٤٥
فرع جدة - تليفون: ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم - بريدة - ت: ٣٢٣١٤٣٤
المدينة المنورة - ت: ٨٢٤٢٧٧٥

وكلاء التوزيع في المملكة المغربية

دار المعرفة
40 شارع فيكتور هيكو - الدار البيضاء
ص. ب 4150 ☎ 300567 - 309520

المكتبة السلفية
12 حي الداخلة - زنقة الامام القسطلاني
الدار البيضاء ☎ 307643

جميع الحقوق محفوظة للناشر

obeikan.com

obeikandl.com

هذه الرسالة

هى رسالة عن «الحذف البلاغى فى القرآن الكريم» كان مؤلفها قد اعدها ليتقدم بها إلى معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة للحصول على «شهادة الماجستير».

وناداه ربه، فلبى النداء - بعد ان اتمها - واحسن إعدادها !! وإذا كان المؤلفون القدامى فى علوم القرآن قد تناولوا الحذف، فإنه لم يكن هدفاً فى تآليفهم.

اما المؤلف، فقد عرض فى بحثه لأكثر من الف موضع من مواضع الحذف فى القرآن الكريم موزعة على ابواب ثلاثة، واربعة وعشرين فصلاً، يقدِّر فيها المحذوف ملتمساً سره البلاغى! مراعياً كفاية الأمثلة فى كل فصل.

وهى بلا شك علم ينتفع به، نرجو الله ان يضاف إلى صحيفة اعماله، بإضافة هذا البحث القيم إلى المكتبة القرآنية التى تتصدى لنشر علوم القرآن!

الناشر

obeikandl.com

مقدمة

حمداً لك اللهم ، سبحانك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم وصلاة وسلاماً على من آتيته جوامع الكلم فكان أفصح ولد آدم على الإطلاق ..

« أما بعد » ..

فهذه رسالة فى الحذف البلاغى فى القرآن الكريم والحذف باب من أبواب المعانى له مذاقه وسحره ، وله أثره فى البلاغة والبيان ولله درّ الجرجانى حين وصفه بقوله : « هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإذا كان إلى هذا ميدانه القرآن الكريم فهو فى أتم صورة وأحسن موقع فالله نزّل أحسن الحديث كتاباً والقرآن الكريم غاية كل مسلم يُجلّه ويجلّه من نفسه وقلبه وعقله فى أعلى مكان ، وما أحسب باحثاً فى علوم القرآن أو العربية إلا وبدا له أن يكون القرآن الكريم ميدان بحثه ، فمن أقدم فقد استعان بالله وتوكل عليه ، ومن أحجم فقد أحجم إجلالاً لكتاب الله وإشفاقاً على نفسه .

لكل هذا اخترت الموضوع وميدانه مستعيناً بالله متوكلاً عليه ؛ فمهدت له بإشارة سريعة إلى نشأة التأليف فى البلاغة العربية مقدماً عرضاً موجزاً للحذف ومكانه فيها .

قسمت البحث إلى ثلاث أبواب رئيسية :

١ ـ حذف جملة .

٢ ـ حذف تركيب .

٣ ـ حذف ما ليس جملة ولا تركيباً وبدأت به نظراً لكثرته وتنوعه حتى شمل ثلاثة عشر فصلاً :

١ ـ حذف المبتدأ .
٢ ـ حذف الخبر .
٣ ـ حذف الفاعل .
٤ ـ حذف المفعول به .
٥ ـ حذف المضاف .
٦ ـ حذف المضاف إليه .
٧ ـ حذف الموصوف .
٨ ـ حذف الصفة .
٩ ـ حذف الحال .
١٠ـ حذف القسم .
١١ـ حذف الجار والمجرور .
١٢ـ حذف المصدر .
١٣ـ حذف الحرف وقد شمل أحد عشر نوعاً .

ثم ثنيت بحذف الجملة الذى تليه كثرة وتنوعاً وقد شمل هذا الباب عشرة فصول .

١ ـ حذف الأجوبة .
٢ ـ حذف جملة الشرط .
٣ ـ حذف جملة القسم .
٤ ـ حذف القول .
٥ ـ حذف العامل .
٦ ـ حذف المقابل .
٧ ـ حذف السبب .
٨ ـ حذف المسبب .
٩ ـ حذف المعطوف عليه .
١٠ ـ حذف جملة الحال .

واختتمت الباب بفصل تحت عنوان « متفرقات » جمعت فيه ما جاء قليلاً . أما الباب الثالث « حذف تركيب » فهو نادر فى الكلام يكاد لا يوجد إلا فى القرآن الكريم فلم يحتج إلى فصول واكتفيت بذكر أمثلته فى القرآن الكريم كما ذكرت لكل فصل من فصول الباب الأول والثانى جملة كافية من الأمثلة متجنباً ما يحتمل الحذف وعدمه اللهم إلا من بعض الأمثلة التى أعتقد فيها بجدوى الحذف . ثم أنهيت البحث بتتمة وخاتمة .

وإذا كان لى أن أشير إلى الجديد فى هذا البحث فإنى أقول :

أولاً : إنه على طول ما نقّبت لم أعثر على مؤلف أفرد للحذف البلاغى فى القرآن الكريم .

ثانياً : المفسرون كثيراً ما يكتفون بالإشارة إلى موضع الحذف فلا يقدرون المحذوف ، ولا يذكرون سبب الحذف ، اللهم إلا من أمثلة قليلة وقف عندها المعرفون باتجاههم البلاغى كالزمخشرى والعلامة أبى السعود .

ثالثاً : مؤلفو البلاغة يكتفون بذكر أنواع الحذف وبعض الأمثلة لكل نوع ، حتى جاء الشيخ عبد القاهر الجرجانى الذى فطن إلى مزايا الحذف وأسراره فأفرد له اثنتين وعشرين صفحة فى كتاب دلائل الإعجاز ركز فيها على حذف المبتدأ أو الخبر والمفعول به .

رابعاً : المؤلفون فى علوم القرآن كالسيوطى والزركشى تناولوا الحذف فى القرآن من بين ما تناولوه فى كتبهم وذكروا له الأمثلة دون أن تتوفر عنايتهم له .

فإذا كان هذا البحث قد جمع ما يزيد على ألف موضع من مواضع الحذف فى القرآن الكريم مقدراً المحذوف ملتمساً الأسرار البلاغية لحذفه فإننى من هذا المنطلق

أستطيع أن أقول : إن البحث كله جديد أضيف إلى هذا ما سجلته من نتائج فى خاتمة البحث وهى :

أولاً : الحذف فى القرآن الكريم كثير جداً ويكفى أن نذكر فى هذا قول ابن جِنّى فى حذف المضاف إذ يقول : « فى القرآن منه زهاء ألف موضع » .

ثانياً : كثيراً ما يعلل الحذف بالإيجاز والاختصار وأرى أن الإيجاز والاختصار إذا صَح أن يكون هدفاً فى بعض المواضع فلاينبغى أن يكون الهدف الوحيد فى سائرها ؛ إذ القرآن ملىء بالأساليب الموجزة غاية الإيجاز دون أن يتوصل إلى تحقيق هذا الهدف بالحذف .

ثالثاً : بناء على هذا ألمس للحذف فى القرآن هدفاً عاماً . هدفاً تربوياً فيه يتنبه المتلقى ويجدد نشاطه بحثاً عن المحذوف فإذا ما وصل إليه بنفسه استقر المعنى فى ذهنه وهذا أصل من أصول التربية الحديثة .

رابعاً : الحذف فى القرآن يجىء فى أتم صورة وفى أحسن موقع وبناء عليه فالمحذوف لا ينبغى إلا أن يكون محذوفاً وما ورد ذكره فى آيات مماثلة فبالتدبر نجد حتماً ما برر ذكره فيها .

خامساً : اختلاف العلماء فى تقدير المحذوف يشير إلى أنه داخل فى باب الاجتهاد وفى كل زمان تتكشف للقرآن أسرار لم تكن معروفة ، وبهذا نستنتج أن الحذف فى القرآن الكريم سيظل الباب البكر يجد فيه الباحث فى كل زمان من الجديد بقدر توفيق الله إياه .

... والله ولى التوفيق ...،

القاهرة فى : ربيع الثانى ١٤١٢ هـ
أكتوبر ١٩٩١ م

المؤلف
مصطفى عبد السلام
محمد أبو شادى

obeikandl.com

تمهيد

(أ) البلاغة العربية :

البلاغة باعتبارها علماً مدروساً ليست من علوم العصر الجاهلىّ إنما هى دراسة متأخرة فى نشأتها ..

والعلماء يختلفون فى واضع البيان العربى اختلافاً كبيراً فبعضهم يذهب إلى أن مؤسس البلاغة هو الجاحظ الذى كان أوّل من اهتم بالبيان العربى ، وألّف فى بحوثه ، وجمع فيه آراء كثيرة فى كتابه ـ **البيان والتبيين** ـ كما نثر فى كتابه ـ **الحيوان** ـ تحليلات لبعض الصور البيانية فى القرآن الكريم .

وليس من شك فى أن كتابه المفقود الذى صنعه فى ـ نظم القرآن ـ والذى أشار إليه فى كتابه ـ الحيوان ـ كما أشار إليه الباقلانى فى كتابه ـ إعجاز القرآن ـ ليس من شك فى أنه كان يشتمل على كثير من ملاحظاته البلاغية .

ويذهب كثيرون إلى أن واضع البيان العربى هو الشيخ عبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ هـ ومن هؤلاء صاحب ـ الطراز ـ على بن حمزة العلوىّ الذى يقول فى مقدمة كتابه « وأول من أسس من هذا الفن قواعده ، وأوضح براهينه وأظهر فوائده ، ورتب أفانينه ، الشيخ العالم النحرير ، علم المحققين ، عبد القاهر الجرجانى » .

ويرى البعض أن عبد الله بن المعتزّ الشاعر العباسى المشهور المتوفى سنة ٢٩٦ هـ هو أوّل من ألف فى البيان والبلاغة وذلك بتأليفه كتابه ـ البديع ـ الذى عرض لموضوعات علمى البيان والبديع بنظام سهل جميل مع الشواهد والأمثلة .

أما ابن خلدون فيشير فى مقدمته إلى اكتمال هذا الفنّ على يد السكاكىّ وفى ذلك يقول : « وأطلق على الثلاثة ـ المعانى والبيان والبديع ـ عند المحدثين اسم البيان وهو اسم للصنف **الثانى** ، لأن الأقدمين أول من تكلموا فيه ثم تلاحقت مسائل الفنّ واحدة بعد أخرى . وكتب فيها : جعفر بن **يحيى والجاحظ وقدامة** إملاءات غير وافية ثم لم تزل مسائل الفنّ تكمل شيئاً فشيئاً حتى مخض السكاكىّ زبدته وهذّب مسائله ورتب أبوابه وألف كتابه ـ **المفتاح** ـ » .

ولعل عبارة ابن خلدون هى أقرب الآراء فى تصوير الواقع ، فعلم البلاغة كأى علم لم ينشأ مكتملاً على يد أىّ من هؤلاء باتفاق وإنما أحد فى نشأته ونموه وتطوره مساحة كبيرة من الزمن تزيد على ثلاثة قرون . أسهم فيها طوائف متعددة من :

لغويين : أمثال : الكسائى والأصمعىّ والمبرّد .

ومتأدبين : أمثال : أبى هلال العسكرىّ وابن رشيق القيروانى وابن سنان الخفاجى .

متكلمين : أمثال : الرّمانىّ والباقلانىّ وعبد الجبّار .

ونقاد : أمثال : ابن طباطبا والآمدى.وعلى بن عبد العزيز الجرجانى .

ومتفلسفة : مثل : قدامة بن جعفر وإسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب .

غير أن هذه الجهود العظيمة لم تسفر عن نظرية متكاملة فى أىّ من علوم البلاغة حتى جاء شيخها عبد القاهر الجرجانىّ الذى استفاد من جهود كل هؤلاء ووضع نظريتى :

علم المعانى فى كتابه (دلائل الإعجاز) .

علم البيان فى كتابه (أسرار البلاغة) .

وفى هذين الكتابين يقول الأستاذ أحمد المراغى فى كتابه : (بحوث وآراء فى البلاغة) يقول : « وفى الحق أن كتابيه **يُعَدّان** أوّل المؤلفات العلمية فى هذه الفنون بما اشتملا عليه من التحقيق العلمى للمسائل التى تناولها فى عرض كلامه وبما سلك فيها من نهج أدبى مقرون بتدقيق منطقى بديع مع بقاء الأسلوب الأدبى ظاهراً لم تشبه هجنة فلا غرو أن قيل : إن أول من وضع هذه الفنون عبد القاهر الجرجانى كما أن من الحق أن نقول أيضاً : إن عبد القاهر بوضعه هذين الكتابين أوجد علوم البلاغة كاملة فكل من جاء بعده قبس من نور علمه وما لم يتعرض له من مسائلها وزادوه فيها بعده فهو قشور تركها لا يضير » .

أما السكاكىّ فقد مضى يتعمق فى قراءة عبد **القاهر** واستطاع أن ينفذ من خلاله ومن خلال الكتابات البلاغية قبله إلى عملٍ ملخصٍ دقيق لما نثره أصحابها من آراء وما استطاع أن يضيفه إليها من أفكار وصاغ ذلك كله صياغة مضبوطة محكمة استعان فيها بقدرته المنطقية فى التعليل والتسبيب وفى التجريد والتحديد والتعريف والتقسيم

والتفريع والتشعيب غير أن ذلك لم يشفع بتحليلات عبد القاهر والزمخشرى التى تملأ النفوس إعجاباً بل تحولت البلاغة عنده إلى علم بأدق المعانى لكلمة علم . ووضعها فى الصيغة النهائية التى استقرت عليها العصور .

(ب) البلاغة والإيجاز :

سمع رسول الله ـ ﷺ ـ رجلاً يقول : لرجل : كفاك الله ما أهمك فقال : هذه البلاغة[1] .

وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ: ما رأيت بليغاً قط إلا وله فى القول إيجاز وفى المعانى إطالة .

وقال محمد الأمين : عليكم بالإيجاز فإن له إفهاماً وللإطالة استبهاما . وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ فقال : الإيجاز ، قيل : وما الإيجاز ؟ قال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد

وقيل لبعضهم : من أبلغ الناس ؟ قال : من حلّى المعنى المزيز[2] باللفظ الوجيز ، وطبّق المفصل قبل التحزيز .

وقيل للفرزدق : ما صيّرك إلى القصار بعد الطوال ؟ فقال : لأنى رأيتها فى الصدور أوقع . وفى المحافل أجول .

وفى تفضيل الإيجاز يقول جعفر بن يحيى لكتّابه : إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا .

ويعلل ابن سنان الخفاجى مدح الإيجاز بقوله[3] : « والأصل فى مدح الإيجاز والاختصار فى الكلام أن الألفاظ غير مقصودة فى أنفسها ، وإنما المقصود هو المعانى والأغراض التى احتيج إلى العبارة عنها بالكلام فصار اللفظ بمنزلة الطريق إلى المعانى التى هى مقصودة .

وإذا كان طريقان يوصل كل منهما إلى المقصود على سواء فى السهولة إلا أن أحدهما

---

(١) [ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥] من كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ط دار الكتب ـ بيروت .
(٢) المزيز : الفاضل .
(٣) سرّ الفصاحة ط محمد على صبيح سنة ١٣٧٢ هـ ١٩٥٣ م ـ [ص ٢٥١] .

أخصر وأقرب من الآخر فلابد أن يكون المحمود فيهما هو أخصرهما وأقربهما سلوكاً إلى المقصد » .

وابن سنان الخفاجى يجعل الإيجاز من شروط الفصاحة والبلاغة فيقول :[1] « ومن شروط الفصاحة والبلاغة : الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام حتى يعبّر عن المعانى الكثيرة بالألفاظ القليلة وهذا الباب من أشهر دلائل الفصاحة وبلاغة الكلام عند أكثر الناس حتى إنهم إنما يستحسنون من كتاب الله ــ تعالى ــ ما كان بهذه الصفة » . **ثم يعرف الإيجاز بقوله : ويجب أن نحد الإيجاز المحمود بأن نقول[2] هو إيضاح المعنى** بأقل ما يمكن من اللفظ وهذا الحدّ أصحّ من حدّ أبى الحسن الرمانىّ : بأنه العبارة عن المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ وإنما كان حدنا أولى لأنا قد **احترزنا** بقولنا ــ إيضاح ــ من أن تكون العبارة عن المعنى وإن كانت موجزة غير موضحة له . حتى يختلف الناس فى فهمه فيسبق إلى قوم دون قوم بحسب أقساطهم من الذهن وصحة **التصور ، فإن** ذلك وإن كان يستحق لفظ الإيجاز والاختصار فليس بمحمود حتى يكون دلالة ذلك اللفظ على المعنى دلالة واضحة » .

هذا والإيجاز ضربان : إيجاز القصر وإيجاز الحذف أما **إيجاز** القصر فهو تقليل الألفاظ وتكثير المعانى دون أن يكون فى العبارة حذف وأمثلته كثيرة فى كلامهم وفى القرآن الكريم .

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ ولكم فى القصاص حياة ﴾[3] ويتبين فضل هذا الكلام إذا قرن بما جاء عن العرب فى معناه وهو قولهم : « القتل أنفى للقتل » فلفظ القرآن فوق هذا القول لزيادته عليه فى الفائدة وهو إبانة العدل لذكر القصاص وإظهار الغرض المرغوب عنه فيه لذكر الحياة ، واستدعاء الرغبة والرهبة لحكم الله به ، ولإيجازه فى العبارة فالذى هو نظير قولهم ــ القتل أنفى للقتل ــ إنما هو « القصاص حياة » وهذا أقل حروفاً من ذاك **ولبعده** عن الكلفة بالتكرير ، ولفظ القرآن برىء من ذلك مع حسن التأليف وشدّة التلاؤم . هذا إلى غير ذلك من الوجوه التى أحصى منها صاحب البرهان عشرين وجهاً .

ومن إيجاز القصر قوله تعالى : ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾[4] كلمتان استوعبتا جميع

---

(١) سرّ الفصاحة [ص ٢٤١] .
(٢) سرّ الفصاحة [ص ٢٤٨] .
(٣) البقرة : ١٧٩ .
(٤) الأعراف : ٥٤ .

الأشياء على غاية الاستقصاء حتى روى أن ابن عمر ــ رحمه الله ــ قرأها فقال : من بقى له شيء فليطلبه .

ومنه قوله تعالى فى صفة خمر أهل الجنة : ﴿ **لا يصدّعون عنها ولا ينزفون** ﴾[1] .

فانتظم قوله سبحانه : ﴿ **ولا ينزفون** ﴾[2] عدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب ومنه قوله تعالى : ﴿ **أولئك لهم الأمن** ﴾[3] دخل تحت الأمن جميع المحبوبات لأنه نفى به أن يخافوا شيئاً أصلاً من الفقر والموت وزوال النعمة والجور وغير ذلك من أصناف المكاره .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾[4] ثلاث كلمات تشتمل على أمر الرسالة وشرائعها وأحكامها على الاستقصاء .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **أخرج منها ماءها ومرعاها** ﴾[5] فدلّ بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للناس من العشب والشجر والحطب واللباس والنار والملح . ومن الكلام الموجز قوله ــ ﷺ ــ « **إياكم وخضراء الدمن** »[6] وقوله ــ عليه السلام ــ: « **إن من البيان لسحراً** »[7]

ومنه قول أمير المؤمنين ــ رضى الله عنه ــ: « قيمة كل امرىء ما يحسن » .

وروى عن المأمون أنه أمر عمرو بن مسعدة أن يكتب لرجل يعنى به إلى بعض العمّال فكتب : كتابى إليك كتاب واثق بمن كتبتُ إليه ، معنىّ بمن كتبتُ له ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله .

ومن أمثلة هذا الضرب فى النظم قول امرىء القيس فى وصف فرس :

على هيكل يعطيك قبل سؤالـــه أفانين جرى غير كــزّ ولاوان

لأنه جمع بقوله ــ أفانين جرى ــ ما لو عدّ كان كثيراً وأضاف إلى ذلك أوصاف الجودة فى الفرس بقوله : إنه يعطى قبل سؤاله أفانين جريه ولا يحتاج إلى حثّ ونفى عنه بقوله :ــ غير كزّ ولاوان ــ أن تكون معه الكزازة من قبل الجماح والمنازعة ، والونى من قبل الاسترخاء والفترة فكان فى هذا البيت جملة من وصف الفرس قد عبّر بها عن معان كثيرة ومثله قول زهير :

فإنى لو لقيتك واتجهنـــا لكان لكل منكرة كفـــاء

(١) الواقعة : ١٩ . (٣) الأنعام : ٨٢ . (٥) النازعات : ٣١ .
(٢) الواقعة : ١٩ . (٤) الحجر : ٩٤ . (٦) رواه الديلمى .
(٧) رواه البخارى وأبو داود والترمذى وأحمد .

لأن مقصوده إننى لو واجهتك لكان عندى مكافأة لك على كل أمر يبدو منك أنكره فقد أورد المعنى فى لفظ قليل مع وضوح المعنى .

(جـ) إيجاز الحذف :

أما الحذف فيصفه إمام البلاغة وشيخها عبد **القاهر** الجرجانى فيقول : ...[1] « هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تبن » **وبهذا يكون** عبد القاهر أول من فطن إلى مزاياه ونبه إلى أسراره حتى أفرد له اثنتين وعشرين صفحة فى كتابه (دلائل الإعجاز) وهذا لم يحدث من مؤلف قبله ، والحذف على وجوه فقد يكون المحذوف جملة ، وقد يكون تركيباً ، وقد يحذف ما ليس بجملة ولا تركيب ونبدأ بعرض هذا الأخير نظراً لكثرته وشيوعه وتعدد أنواعه .

▣ حذف ما ليس بجملة ولا تركيب

[حذف المبتدأ]

ومن المواضع التى يطرد فيها حذف المبتدأ القطع والاستئناف يبدءون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ثم يدعون الكلام الأول ويستأنفون كلاماً آخر ، فيأتون بخبر من غير مبتدأ .

مثال ذلك قول القاسم بن حنبل[2] :

هم حلّوا من الشرف المعلـــــى ومن حسب العشيرة حيث شاءوا
بناة مكارم وأساة كلـــــم دماؤهم من الكلب الشفـــاء[3]

وقول أسيد بن **عنقاء** الفزارىّ :

رآنى على ما بى عميلة فاشتكـــى إلى ما لـه حالى أسرّكما جهـر
غلام رماه الله بالخير مقبـــلا له سيمياء[4] لا تشقّ على الـــبصر

---

(١) عبد القاهر الجرجانى ـ دلائل الإعجاز [ص ١٠٤] ط السادسة [١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م] .
(٢) ديوان المعانى لأبى هلال وينسب إلى أبى البرج المرّى فى ديوان الحماسة .
(٣) الكلب بفتح اللام ما يصيب الإنسان إذا عضه كلب ومن أوهامهم أن دم الشريف يشفيه .
(٤) السيمياء : الحسن والعلامة .

أى هم بناة مكارم ، وهو غلام ... فحذف المبتدأ فيهما لتقدم ذكره وذكرهم .

وممّا اعتيد أن يجيء خبراً عن مبتدأ محذوف ، قولهم بعد أن يذكروا الرجل: فتى من صفته كذا ، أو أغرّ أو غرّاء أو هيفاء أو نحو ذلك كقول إبراهيم بن العبّاس الصولى :

سأشكر عمرا إن تراخت منيتى أيادى لم تمنن وإن هى جلّت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت[1]

ومن ذلك أيضاً قول جميل :

وهل بثينة يالناس قاضيتى دينى وفاعلة خيرا فأجزيها
ترنو بعينى مهاة أقصدت بهما قلبى غشية ترمينى وأرميها
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ريّا العظام بلين العيش غاذيها[2]

ومن لطيف الحذف قول بكر بن النطاح :

العين تبدى الحبّ والبغضا وتظهر الإبرام والنقضا
درّة ما أنصفتنى فى الهوى ولا رحمت الجسد المنضى
غضبى ولا والله ياأهلها لا أطعم البارد أو ترضى

والتقدير : هى هيفاء ، هى غضبى . فالمبتدأ محذوف ولو ذكر ما كان بهذا الرواء .

هذا وقد يحذف المبتدأ أو المسند إليه لإيهام صونه عن اللسان تعظيماً له أو صون اللسان عنه تحقيراً له أو للاحتراز عن العبث لدلالة القرينة عليه وعلم السامع به أو لتخييل أن فى تركه تعويلاً على شهادة العقل ، كقول الشاعر :

قال لى كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل.

فلم يقل : أنا عليل للاحتراز أو التخييل .

وقد يكون حذف المسند إليه **لتأتى** الإنكار عند الحاجة إليه نحو نذل لئيم عند قيام القرينة على أن المراد زيد ليتأتى لك أن تقول : ما أردت زيداً[3] .

---

(١) زلت به النعل كناية عن الفقر وسوء الحال .

(٢) الهيفاء : الضامرة البطن الرقيقة الخصر ، عجزاء : كبيرة العجز ، ريّا العظام : ناعمة ناعمة .

(٣) [ص ٥٣ ، ٥٤] من كتاب التلخيص للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى الخطيب ط ــ دار الفكر العربى .

[حذف المسند]

قد يحذف المسند لقصد الاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب التوجع أو المحافظة على الوزن كقول ضابىء بن الحارث وهو محبوس فى المدينة أيام الفاروق ــ رضى الله عنه ــ:

ومن يك أمسى بالمدينة رحلـــــه فإنى وقيّار بها لغـــــــريب[1]

فإنه حذف المسند إلى قيّار والتقدير : فإنى لغريب وقيار كذلك وقدّم قيّار على خبر « إنّ » قصد التسوية بينهما فى التحسر على الاغتراب وكأنه أثر فى غير ذوى العقول أيضاً.

قيل ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **والله ورسوله أحق أن يرضوه** ﴾[2] . أى والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك .

ومن ذلك قول قيس بن الخطيم :

نحن بما عندنـــــــا وأنت بما عندك راض والرأى مختلـــــف

فحذف المسند إلى « نحن » للاحتراز عن العبث وضيق المقام ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن** ﴾[3] أى واللائى لم يحضن مثلهن ، وقوله تعالى : ﴿ **فصبر جميل** ﴾[4] يحتمل الأمرين حذف المبتدأ فيكون التقدير فأمرى صبر جميل ، وحذف الخبر والتقدير فصبر جميل أجمل .

ومما يحتمل الأمرين أيضاً قوله تعالى : ﴿ **طاعة معروفة** ﴾[5] أى معلومة لا يشكّ فيها ولا يرتاب كطاعة الخلّص من المؤمنين الذين يطابق باطن أمرهم ظاهره لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل .

أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة[6] ومن هذا الباب أيضاً قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا ثلاثة ﴾[7] .

---

(١) الرحل : المنزل ، قيار اسم فرس أو جمل للشاعر ولفظ البيت خبر ومعناه التوجع من الغربة .
(٢) التوبة : ٦٢ .
(٣) الطلاق : ٤
(٤) يوسف : ١٨ .
(٥) النور : ٥٣ .
(٦) قاله الزمخشرى فى كشافه
(٧) النساء : ١٧١ .

أى ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة . ولابد من قرينة كوقوع الكلام جواباً لسؤال محقق كقوله تعالى : ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله** ﴾[1] .

أو سؤال مقدر كقول الشاعر :

ليبك يزيد ضارع لخصومـــــــة ومختبط ممّا تطيح الطوائـــــح[2]

فإنه لمّا قال : **ليبك** يزيد كأن سائلاً سأله من يبكيه ؟ فقال ضارع .. وفضل بناؤه للمفعول على غيره لتكرر الإسناد إجمالاً ثم تفصيلاً ولوقوع نحو (يزيد) غير فضله ولكون معرفة الفاعل كحصول نعمة غير مرتقبة لأن أول الكلام غير مطمع فى ذكره .

[حذف المفعول]

أغراض الناس تختلف فى ذكر الأفعال **المتعدية** ، فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعانى التى اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين .

فإذا كان الأمر كذلك كان الفعل المتعدى كغير المتعدى فى أنه لا يكون له مفعول لا لفظاً ولا تقديراً ، مثال ذلك قولهم : فلان يحلّ ويعقد ، ويأمر وينهى ويضرّ وينفع ، وكقولهم : هو يعطى الجزيل ، والمعنى فى جميع ذلك على إثبات المعنى فى نفسه للشىء على **الإطلاق** من غير أن يتعرض **لمفعول** بعينه وعلى **هذا** قوله تعالى : ﴿ **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾[3] . فالمعنى هل يستوى من له علم ومن لا علم له ؟ من غير أن يقصد النصّ على معلوم وتارة يكون للفعل المتعدى مفعول مقصود . قصده معلوم إلا أنه يحذف من **اللفظ** لدليل الحال عليه ، ولإيهام أنه لم يذكر الفعل إلاّ لأن يثبت نفس معناه من غير أن يعديه لشىء ، **ومثال** ذلك قول البحترىّ :

شجو حسّاده وغيظ عـــــــداه أن يرى مبصر ويسمـــــــع واع

فالمعنى : يرى مبصر محاسنه ، ويسمع واع أخباره ولكنه لم يذكر ذلك ليحصل

---

(١) الزمر : ٣٨ .

(٢) الضارع : المستكن الخاشع ، الطوائح : جمع مطيحة . يقال طوحته الطوائح أى نزلت به المهالك والبيت لضرار بن نهشل يرثى أخاه يزيداً .

(٣) الزمر : ٩ .

له معنى شريف وغرض خاص ، فهو يمدح الخليفة المعتز ويعرّض بالخليفة المستعين فأراد أن يقول : إن فضائل المعتز ومحاسنه يكفى فيها أن يقع عليها بصر ويعيها سمع حتى يعلم أنه المستحق للخلافة ، فليس أشجى لحسّاده ، وأغيظ لهم من علمهم بأن هناك **مبصراً** يرى وواعياً يسمع وقد يكون حذف المفعول لتتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل وتخلص له ومثاله قول عمرو بن معد يكرب :

فلو أن قومى أنطقتنى رماحهـــم نطقت ولكن الرماح أجـــرت

فالمعنى : أجرتنى ولكن تعدية الفعل توهم خلاف الغرض الذى إثبات الإجرار وحبس الألسن من الرماح .

ومن بارع ذلك ونادره قول طفيل الغنوي لبنى جعفر بن كلاب :

جزى الله عنّا جعفرا حين أزلـفت بنا نعلنا فى الواطئين فـــزلّت
أبوا أن يملّونا ولو أنّ أمّنـــا تلاقى الذى لاقوه منـــا لملت
هم خلطونا بالنفوس وألجئـــوا إلى حجرات أدفأت وأظـــلت

فيها حذف مفعول مقصود قصده فى أربعة مواضع ، قوله : لملّت ، ألجئوا ، أدفأت أظلّت إلاّ أنه جعله فى حدّ المنتهى عند الفاعل لا يتعداه إلى سواه ومن هذا الباب ــ أعنى حذف المفعول لتتوفر العناية على إثبات الفعل لفاعله قوله تعالى : ﴿ **ولمّا ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولّى إلى الظلّ** ﴾[1] .

ففى الآية الكريمة حذف مفعول فى أربعة مواضع : إذ المعنى وجد عليه أمة من الناس يسقون غنمهم وامرأتين تذودان غنمهما قالتا لا نسقى غنمنا فسقى لهما غنمهما .

ولا يخفى أنه ليس فى ذلك كله إلا أن يترك ذكر المفعول ويؤتى بالفعل مطلقاً وما ذاك إلا أن الغرض أن يعلم أنه كان من الناس سقى ومن المرأتين ذود وأنهما قالتا : لا يكون منّا سقى حتى يصدر الرعاء فكان من موسى ــ عليه السلام ــ بعد ذلك سقى لهما .

---

(١) القصص : ٢٣ ، ٢٤ .

فأمّا ما كان المسقىّ أغنماً أم إبلاً فخارج عن الغرض ، وموهم خلافه وذاك أنه لو صرّح بالمفعول جاز أن يكون لم ينكر الذود إلا من حيث هو ذود غنم حتى لو كان مكان الغنم إبل لم ينكر ولم يسق لهما .

وقد يحذف المفعول لغرض البيان بعد الإبهام كما فى مفعول المشيئة فى غالب أحواله كقوله تعالى : ﴿ فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾[1] .

وكقول البحترىّ :

لو شئت لم تفسد سماحة حـــاتم كرما ولم تهدم مآثر خالـــد

فالمعنى : لو شاء الله هدايتكم جميعاً لهداكم ، ولو شئت لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها ، فبيان المفعول بعد إبهامه له فى النفس موقع لا تحس به إذا ذكر أولاً .

وقد يكون ذكر مفعول المشيئة ضرورياً وذلك إذا كان خاصًّا بحيث لا يفهم من الكلام بعده وذلك كقول الخريمى يرثى ابنه :

لو شئت أن أبكى دماً لبكيتـــه عليه ولكن ساحـــة الصبر أوسع

ومن الأغراض البيانية لحذف المفعول به دفع توهم السامع فى أول الأمر شيئاً غير المراد وذلك مثل قول البحترى لبعض ممدوحيه :

وكم ذدت عنّى من تحامل حـــادث وسورة أيام حززن إلى العظـــم

فإنه لو قال : حززن اللحم إلى العظم لتوهم السامع قبل مجيئه إلى كلمة العظم أن الحزّ كان فى بعض اللحم ولم ينته إلى العظم فحذف المفعول ليقى السامع هذا الوهم .

ويحذف المفعول أيضاً لذكره مع فعل تالٍ لأنه الأصل المراد فى الذكر كقول البحترى :

قد طلبنا فلـــم نجد لك فى السؤ دد والمجد والمكارم مثـــلاً

فحذف « مثلاً » من الفعل الأول « طلبنا » إذ كان غرضه أن يوقع نفي الوجود على كلمة « مثلاً » أما الطلب فكالشىء يذكر ليبنى عليه الغرض .

وقد يحذف المفعول لمجرد الاختصار مع قيام القرينة نحو أصغيت إليه أى أذنى وقد يحذف لرعاية الفاصلة نحو : ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾[2] .

---

(١) الأنعام : ١٤٩ .

(٢) الضحى : ٣ .

وقد يحذف لاستهجان ذكره كقول عائشة ــ رضى الله عنها ــ: ما رأيت منه ولا رأى منّى وإما لنكتة أخرى كتعيينه فى مثل قوله تعالى : ﴿ **لينذر بأساً شديداً** ﴾[1] . أى لينذر الذين كفروا فحذف لتعيينه ولأن الغرض ذكر المنذر به .

[حذف المضاف]

يحذف المضاف ويقام المضاف إليه مقامه ويجعل الفعل له كقوله تعالى : ﴿ **ولكن البرّ من اتقى** ﴾[2] إذ المعنى ولكنّ ذا البرّ من اتقى أو ولكن البرّ برّ من اتقى .

ومثله قوله تعالى : ﴿ **حرمت عليكم الميتة** ﴾[3] أى تناولها لأن الحكم الشرعىّ إنما يتعلق بالأفعال دون الأجرام خلافاً لأبى حنيفة ــ رضى الله عنه ــ. ومنه قوله تعالى : ﴿ **حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم** ﴾[4] أى تناول طيبات وقوله تعالى : ﴿ **وأنعام حرمت ظهورها** ﴾[5] أى منافع ظهورها .

وكقول المتنخل الهذلى :

يمشى بيننا حانـــــــوت خمر من الخرس الصراصرة القطـــاط[6]

أى صاحب حانوت فحذفه وأقام الحانوت مقامه اختصاراً .

[حذف الموصوف]

وقد يحذف الموصوف كما فى قول سحيم بن وثيل الرياحى :

أنا ابن جلا وطلاّع الثنايـــــــا متى أضع العمامة تعرفـــــــونى

أى ابن رجل جلا الأمور وعركها ؛ وكقول البحترى فى وصف إيوان كسرى :

والمنايا مواثل وأنـــــــوشر وان يزجي الصفوف تحت الدرفس
فى اخضرار من اللبـــــاس على أصفر يختال فى ضبغـــــة ورس

فقوله على أصفر يعنى على فرس أصفر .

---

(١) الكهف : ٢ .
(٢) البقرة : ١٨٩ .
(٣) المائدة : ٣ .
(٤) النساء : ١٦٠ .
(٥) الأنعام : ١٣٨ .
(٦) قال شراح ديوان الهذليين : يريد بالخرس الصراصرة خدماً من العجم ، والقطاط الجعاد كشعر الزنجى .

[حذف الصفة]

وتحذف الصفة أيضاً كقوله تعالى : ﴿ **وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا** ﴾[1] . أى كل سفينة صحيحة أو صالحة أو نحو ذلك بدليل قوله تعالى قبله : ﴿ **فأردت أن أعيبها** ﴾[2] وقد جاء ذلك مذكوراً فى بعض القراءات قال سعيد بن جبير : **كان ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ يقرأ : « وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا »** وهذا النوع من الحذف أعنى حذف الصفة قليل الوجود فى الكلام لمكان استبهامه .

[حذف الحال والتمييز والمستثنى]

ويحذف الحال اختصاراً مثل قوله تعالى : ﴿ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم** ﴾[3] ؛ أى قائلين سلام .

كما يحذف التمييز فى مثل كم أنفقت ؟ والمستثنى مثل : ليس إلاّ .

[حذف الحرف]

وحذف الحرف كثير جوّز جماعة حذف الواو العاطفة وخرّج عليه قوله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناعمة** ﴾ ؛ كما تحذف همزة الاستفهام كثيراً وجوّز بعضهم حذف لام الأمر .

ومن هذا الباب إسقاط « لا » من الكلام كما فى قوله تعالى : ﴿ **يبين الله لكم أن تضلوا** ﴾[4] أى لأن لا **تضلوا** ومثله قوله تعالى : ﴿ **أن تحبط أعمالكم** ﴾[5] أى لأن لا تحبط وكقول امرىء القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعـــــــداً ولو قطعوا رأسى لـــديك وأوصالى

أى لا أبرح قاعداً .

[إضمار غير مذكور]

ومن ضروب الحذف إضمار غير مذكور كقوله تعالى : ﴿ **حتى توارت**

---

(١) الكهف : ٧٩ .
(٢) الكهف : ٧٩ .
(٣) الرعد : ٢٣ ، ٢٤ .
(٤) النساء : ١٧٦ .
(٥) الحجرات : ٢ .

بالحجاب ﴾[1] يعنى الشمس بدأت فى الغروب وقوله تعالى : ﴿ **ما ترك على ظهرها من دابة ﴾**[2] أى الأرض وقوله : ﴿ **فأثرن به نقعا ﴾** أى الوادى وقول **لبيد** :

حتى إذا ألفت يدا فى كافـــــر وأجَنَّ عورات الثغور ظلامها

يعنى الشمس تدأب فى المغيب ؛ وضرب منه ما قال الله تعالى فى أول سورة الرحمن : ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾**[3] وذكر قبل ذلك الإنسان ولم يذكر الجان ثم ذكره .

ومنه قول المثقب :

فمـــــا أدرى إذا يممت أرضاً أريـد الخير أيهمـا يلينـى
أألخير الذى أنا أبتغيـــــــه أم الشر الـذى هـو يبتغينـى

فكنى عن الشرّ قبل ذكره ثم ذكره .

حذف جملة

قد يكون الإيجاز بحذف جملة مضمونها مسبب ذكر سببه كقوله تعالى : ﴿ **ليحق الحق ويبطل الباطل ﴾**[4] أى فعل ما فعل ليحق .. وقوله تعالى : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ ناديا ولكن رحمة من ربك ﴾**[5] أى اخترناك .

وقوله تعالى : ﴿ **ليدخل الله فى رحمته من يشاء ﴾**[6] أى كان الكفّ ومنع التعذيب ليدخل ...

ومنه قول المتنبى :

أتى الزمان بنـــوه فى شبيبتـــه فسرّهم وأتيناه على الـــــكبر

أى فساءنا ، أو يكون بحذف جملة مضمونها سبب ذكر مسببه .. كقوله تعالى : ﴿ **فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم ﴾**[7] أى فامتثلتم فتاب عليكم ، وقوله تعالى : ﴿ **فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ﴾**[8] أى فضربه بها فانفجرت أو غير ذلك كقوله تعالى : ﴿ **فنعم الماهدون ﴾**[9] أى هم نحن أو يكون بحذف الجملة مع حرف العطف كقوله تعالى : ﴿ **لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة ﴾**[10] أى

(١) ص : ٣٢ . (٣) الرحمن: ١٣ . (٥) القصص : ٤٦ . (٧) البقرة : ٥٤ . (٩) الذاريات : ٤٨ .
(٢) فاطر : ٤٥ . (٤) الأنفال : ٨ . (٦) الفتح : ٢٥ . (٨) البقرة : ٦٠ . (١٠) الحديد : ١٠ .

ومن أنفق من بعد الفتح ، ويكون الإيجاز بحذف جواب الشرط للاختصار كقوله تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون** ﴾[1] أى أعرضوا **بدليل** قوله تعالى بعده : ﴿ **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلاّ كانوا عنها معرضين** ﴾[2] ، وكقوله تعالى : ﴿ **ولو أن قرآنا سيّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلّم به الموتى** ﴾[3] أى لكان هذا القرآن . وقوله تعالى : ﴿ **قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم** ﴾[4] أى ألستم بظالمين ؟ بدليل قوله تعالى : ﴿ **إن الله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ .

هذا وقد تحذف جملة الجواب للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف أو لتذهب نفس السامع فيه كل مذهب ممكن فلا يتصور مطلوبا أو مكروهاً إلا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه ، ولو عيّن شيء اقتصر عليه ، وربما خفّ أمره عنده وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ **ولو ترى إذ وقفوا على النار** ﴾[5] وقوله : ﴿ **ولو ترى إذ وقفوا على ربهم** ﴾[6] وقوله : ﴿ **ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم** ﴾[7] .

ومن حذف الجملة أيضاً القسم بلا جواب كقوله تعالى : ﴿ **ق والقرآن المجيد** ﴾[8] معناه والله أعلم : ق والقرآن المجيد لتبعثنّ بدليل ما جاء **بعده** من ذكر البعث . ومن حذف جواب القسم قوله تعالى : ﴿ **والفجر * وليال عشر** ﴾[9] والتقدير : **ليعذبنّ** بدليل قوله تعالى : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد** ﴾[10] إلى قوله : ﴿ **فصبّ عليهم ربك سوط عذاب** ﴾[11] ويحذف جواب لمّا كما فى قوله تعالى : ﴿ **فلما أسلما وتلّه للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا** ﴾[12] .

والتقدير : كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم عليهما من دفع البلاء واستحقاق الثواب ومما يتصل بهذا حذف ما يجيء بعد أفعل كقولنا : الله أكبر أى من كل شيء وعليه قول البحترى :

الله أعطاك المحبة فى الـــــــورى وحباك بالفضل الذى لا ينكـــــر

---

(١) يس : ٤٥ . (٤) الأحقاف : ١٠ (٧) السجدة : ١٢ . (١٠) الفجر : ٦ .
(٢) يس : ٤٦ . (٥) الأنعام : ٢٧ . (٨) ق : ١ . (١١) الفجر : ١٣ .
(٣) الرعد : ٣١ . (٦) الأنعام : ٣٠ . (٩) الفجر : ١ ، ٢ (١٢) الصافات : ١٠٣ ، ١٠٤ ،

ولأنت أملأ فى العيون لـــــديهم وأجلّ قـــــدرا فى الصدور وأكبر

وقد يحذف جواب لولا وأمّا وإذا ويقول القاضى التنوخى : كل ذى جواب جوّز حذف جوابه .

ومن حذف الجملة أيضاً أن يوقع الفعل على شيئين وهو لأحدهما ويضمر للآخر فعله كقوله تعالى :﴿ **فأجمعوا أمركم وشركاءكم** ﴾[1] أى وادعوا شركاءكم وكذلك هو **فى مصحف عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ ، وكقول الشاعر :**

تراه كأن الله يجدع أنفـــــه وعينيه إن مولاه ثاب له وفـــــر

أى يجدع أنفه ويفقأ عينه .

وكقول آخر :

إذا ما الغانيات برزن يومـــــاً وزججن الحواجب والعيونـــــا

أى وكحلن العيونا .

وربما حذفوا الكلمة والكلمتين كقوله تعالى : ﴿ **فأمّا الذين اسودت وجوههم أكفرتم** ﴾[2]**أى فيقال لهم أكفرتم ؟ وقوله تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً** ﴾[3] أى ووصّى بالوالدين إحساناً .

وقد تحذف جملة الصلة مثل قولهم : جاء بعد اللّتيا والتى ، أى المشار إليه بهما وهى المحن والشدائد قد بلغت شدّتها وفظاعتها مبلغاً يبهت الواصف معه .

ومن حذف جملة الشرط قولهم : الناس مجزيّون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شرّا فشرّ أى إن كان عملهم خيراً فخير وإن كان شراً فشرّ .

■ حذف تركيب

وقد يكون المحذوف تركيباً ـ أكثر من جملةٍ ـ كقوله تعالى : ﴿ **فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى** ﴾[4] أى فضربوه ببعضها **فحيى** فقلنا كذلك يحيى الله الموتى ، وقوله تعالى : ﴿ **أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون . يوسف أيها الصديق** ﴾[5] أى فأرسلون إلى يوسف لأستعبره الرؤيا فأرسلوه إليه فأتاه وقال له يايوسف أيها الصديق **أفتنا . وقوله تعالى : ﴿ فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين * أن أرسل معنا بنى إسرائيل * قال ألم نربك فينا وليداً** ﴾[6] **أى فأتياه فأبلغاه ذلك فلما سمعه قال : ألم نر بك فينا وليداً .**

---

(١) يونس : ٧١ .
(٢) آل عمران : ١٠٦ .
(٣) الإسراء : ٢٣ .
(٤) البقرة : ٧٣ .
(٥) يوسف : ٤٥ ، ٤٦ .
(٦) الشعراء : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

هذا والحذف على وجهين :

أحدهما : ألا يقام شيء مقام المحذوف كما فى الأمثلة المذكورة .

ثانيهما : أن يقام مقام المحذوف ما يدل عليه كقوله تعالى : ﴿ **فإن تولّوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم** ﴾[1] فليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليّهم والتقدير : فإن تولوا فلا لوم على لأنى قد أبلغتكم أو فلا عذر لكم عندى لأنى قد أبلغتكم .

ومثله قوله تعالى : ﴿ **وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك** ﴾[2] أى وإن يكذبوك فلا تحزن واصبر فقد كذبت ....

[الحذف الجيّد والحذف الردىء]

يكون الحذف جيداً إذا لم يكن اللفظ قاصراً عن أداء المعنى كما فى الأمثلة السابقة . أما إذا كان قاصراً عن أداء المعنى فهو ردىء وذلك مثل قول الحرث بن حلزّة :

والعيش خير فى ظـــــلا ل النوك ممّن عاش كــدّا

أراد العيش الناعم فى ظلال النوك خير من العيش الشاق فى ظلال العقل وليس يدل لحن كلامه على هذا .

ومن الحذف الردىء أيضاً قول الآخر :

أعاذل عاجل مـــــــا أشتهى أحبّ من الأكثر الـــــــرايث

أراد عاجل ما أشتهى مع القلة أحبّ إلى من رايثه مع الكثرة . ومثله قول عروة ابن الورد :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهـــــم ومقتلهم عند الوغى كان أعــذرا

يريد إذ يقتلون نفوسهم فى السلم .

ومن النثر ما كتب بعضهم :

« **فإن المعروف إذا زجا كان أفضل منه إذا توفر وأبطا** » .

وتمام المعنى أيقول : إذا قل وزجا . .

ومثل هذا الحذف مقصر غير بالغ مبلغ ما تقدم من الحذف الجيد .

(١) هود : ٥٧ . (٢) فاطر : ٤ .

أدلة الحذف

أدلة الحذف كثيرة منها :

١ ـ أن يدلّ العقل على الحذف والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** ﴾[١] ؛ وقوله تعالى : ﴿ **حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم ..** ﴾[٢] .

فإن العقل يدل على الحذف **إذ** الأحكام إنما تتعلق بالأفعال دون الأعيان والمقصود الأظهر فى الآية الأولى تناولها الشامل للأكل وشرب الألبان وفى الآية الثانية نكاحهن .

٢ ـ أن يدلّ العقل على الحذف والتعيين كقوله تعالى : ﴿ **وجاء ربك** ﴾[٣] أى أمر ربك وبأسه وعذابه .

وقد رأى الزمخشرى فى هذه الآية الكريمة أنها تمثيل لظهور آيات اقتدار الله **وتبين** آثار قهره وسلطانه ، مثلت حاله فى ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم .

٣ ـ أن يدل العقل على الحذف والعادة على التعيين كقوله تعالى حكاية عن **امرأة** العزيز : ﴿ **قالت فذلكن الذى لمتننى فيه** ﴾[٤] .

دلّ العقل على الحذف لأن الإنسان إنما يلام على كسبه فيحتمل أن يكون التقدير : **لمتننى** فى حبه لقوله تعالى : ﴿ **قد شغفها حباً** ﴾[٥] ويحتمل أن يكون لمتننى فى مراودته لقوله تعالى : ﴿ **تراود فتاها عن نفسه** ﴾[٦] أو يكون التقدير **لمتننى** فى شأنه وأمره فيشملهما .

ولكن العادة دلّت على تعيين المراودة لأن الحبّ المفرط لا يلام عليه الإنسان فى العادة لقهره صاحبه وغلبته إياه وإنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه والتى يقدر أن يدفعها عن نفسه .

٤ ـ أن تدل العادة على الحذف والتعيين كقوله تعالى : ﴿ **لو نعلم قتالا لاتبعناكم** ﴾[٧] .

---

(١) المائدة : ٣ . (٣) الفجر : ٢٢ . (٥) يوسف : ٣٠ . (٧) آل عمران : ١٦٧ .
(٢) النساء : ٢٣ . (٤) يوسف : ٣٢ . (٦) يوسف : ٣٠ .

لقد كانوا أخبر الناس بالحرب فكيف يقولون بأنهم لا يعرفونها ؟ فلابد من حذف قدره مجاهد ـــ رحمه الله ـــ: لو نعلم مكان قتال **لاتبعناكم** .

أى أنكم تقاتلون فى موضع لا يصلح للقتال ويخشى عليكم منه ويدل على ذلك أنهم أشاروا على رسول الله ـــ ﷺ ـــ ألاّ يخرج من المدينة وأن الحزم البقاء فيها .

٥ ـ من أدلة الحذف أيضاً الشروع فى الفعل كقول المؤمن : بسم الله **الرحمن** الرحيم فإذا قالها عند الشروع فى القراءة فإنه يفيد بسم الله أقرأ وهكذا .

٦ ـ من الأدلة أيضاً اقتران الكلام بالفعل كقولك لمن أعرس : بالرفاء والبنين فإنه يفيد بالرفاء والبنين أعرست .

متى يشترط الدليل ؟

قال ابن هشام : إنما يشترط الدليل فيما إذا كان المحذوف الجملة بأسرها أو أحد ركنيها أو يفيد معنى فيها هى مبنية عليه نحو قوله تعالى : ﴿ **تالله تفتؤ** ﴾[1] أما الفضلة فلا يشترط لحذفها وجدان دليل بل يشترط فى الحذف ما يلى :

١ ـ ألا يكون فى حذف الفضلة ضرر معنوىّ أو صناعىّ ويشترط فى الدليل اللفظىّ أن يكون طبق المحذوف .

وردّ قول الفراء فى قوله تعالى : ﴿ **أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه * بلى قادرين** ﴾[2] أن التقدير : بلى ليحسبنا قادرين ، لأن الحسبان المذكور بمعنى الظنّ والقدرة بمعنى العلم لأن التردد فى الإعادة كفر فلا يكون مأموراً به .

والصواب فيها قول سيبويه : إن قادرين حال أى بل نجمعها قادرين إذ فعل الجمع أقرب من فعل الحسبان .

٢ ـ ألاّ يكون المحذوف كالجزء ومن ثمّ لم يحذف الفاعل ولا نائبه ولا اسم « كان » وأخواتها .

٣ ـ ألا يكون مؤكداً لأن الحذف مناف للتأكيد إذ الحذف مبنىّ على الاختصار والتأكيد مبنىّ على الطول ومن ثمّ ردّ الفارسىّ على الزجّاج فى قوله تعالى : ﴿ **إنْ هذان لساحران** ﴾[3] أن التقدير : إن هذان لهما ساحران فقال : إن الحذف والتأكيد باللام متنافيان . وأما حذف الشىء لدليل وتوكيده **فلا تنافى** بينهما لأن المحذوف لدليل كالثابت .

٤ ـ ألاّ يؤدى الحذف إلى اختصار المختصر ومن ثمّ لم يحذف اسم الفعل لأنه اختصار للفعل .

٥ ـ ألا يكون عاملاً ضعيفاً فلا يحذف الجارّ والناصب للفعل والجازم إلّا فى مواضع قويت فيها الدلالة وكثر فيها استعمال تلك العوامل .

٦ ـ ألاّ يكون المحذوف عوضاً عن شىء ومن ثمّ قال ابن مالك : إن حرف النداء ليس عوضاً عن ـــ أدعو ـــ لإجازة العرب حذفه .

---

(١) يوسف : ٨٥ . (٢) القيامة : ٣ ، ٤ . (٣) طه : ٦٣ .

قواعد فى الحذف

١ ـ الأصل أن يقدّر الشيء فى مكانه الأصلىّ لئلا يخالف الأصل من وجهين :

(أ) الحذف . (ب) وضع الشيء فى غير محله .

فيقدر المفسر فى نحو : زيداً رأيته مقدماً عليه أى رأيت زيداً رأيته وجوّز البيانيون **تقديره مؤخراً عنه لإفادة الاختصاص . وجّوز النحاه تأخيره إذا منع من تقديمه مانع** نحو قوله تعالى : ﴿ **وأما ثمود فهديناهم** ﴾[1] لأن « أمّا » لا يليها فعل .

٢ ـ ينبغى تقليل المقدّر ما أمكن لتقل مخالفة الأصل ومن ثمّ ضعف قول الفارسىّ فى قوله تعالى : ﴿ **واللائى لم يحضن** ﴾[2] أن التقدير : فعدتهن ثلاثة أشهر ، **والأوْلى أن يقدر : واللائى لم يحضن كذلك . قال الشيخ عزّ الدين : ولا يقدر من المحذوفات** إلا أشدها موافقة للغرض وأفصحها لأن العرب لا يقدرون إلاّ ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام كما يفعلون ذلك فى الملفوظ به فنحو قوله تعالى : ﴿ **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس** ﴾[3] .

قدّر أبو على : جعل الله نصب الكعبة .

وقدّر غيره : جعل الله حرمة الكعبة . وهو أولى لأن تقدير الحرمة فى الهدى والقلائد والشهر الحرام لا شك فى فصاحته .

قال : ومهما تردد المحذوف بين الحسن والأحسن وجب تقدير الأحسن لأن الله وصف كتابه بأنه أحسن الحديث فليكن محذوفه أحسن المحذوفات كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات .

قال : ومتى تردد بين أن يكون مجملاً أو مبيناً فتقدير المبين أحسن ففى قوله تعالى : ﴿ **وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث** ﴾[4] لك أن تقدر فى أمر الحرث ولك أن تقدر فى تضمين الحرث وهو أولى **لتعينه** أما أمر الحرث فمجمل لتردده بين أنواع .

٣ ـ إذا دار الأمر بين كون المحذوف فعلاً والباقى فاعلاً وكونه مبتدأ والباقى خبراً فالثانى أولى لأن المبتدأ عين الخبر وحينئذ فالمحذوف عين الثابت فيكون حذفاً كلا حذف .

---

(١) فصلت : ١٧ .
(٢) الطلاق : ٤ .
(٣) المائدة : ٩٧ .
(٤) الأنبياء : ٧٨ .

أما الفعل فإنه غير الفاعل اللهم إلا أن يعتضد الأول برواية أخرى فى ذلك **الموضع** أو فى موضع آخر يشبهه .

فالأول كقراءة : ﴿ **يسبِّح له فيها بالغدوّ والآصال رجال** ... ﴾[1] بفتح **الباء** وقراءة : ﴿ **كذلك يوحَى إليك وإلى الذين من قبلك الله** ... ﴾[2] بفتح الحاء **أيضاً** فإن التقدير : يسبحه رجال ، ويوحيه الله ، ولا يقدران مبتدآن بحذف خبرهما لثبوت فاعلية الاسمين فى رواية من بنى الفعل للفاعل . أما اعتضاده برواية أخرى فى موضع آخر يشبهه فنحو قوله تعالى : ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله** ﴾ . **فتقدير** : خلقهم الله أولى من الله خلقهم لمجىء : ﴿ **خلقهن العزيز العليم** ﴾[3] .

٤ ـ إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولاً أو ثانياً فكونه ثانياً أولى ومن ثمّ **رجح** كون المحذوف فى نحو : ﴿ **أتحاجونىّ فى الله** ﴾[4] نون الوقاية لا نون الرفع وفى **نحو** : ﴿ **ناراً تلظّى** ﴾[5] أن التاء الثانية هى المحذوفة لا تاء المضارعة وفى قوله تعالى : ﴿ **والله ورسوله أحق أن يرضوه** ﴾[6] أن المحذوف خبر الثانى وفى نحو ﴿ **الحج أشهر** ﴾ أن المحذوف مضاف للثانى أى الحج حج أشهر معلومات وقد يجب كونه **الأول** نحو قوله تعالى : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبى** ﴾[7] فى قراءة من رفع ﴿ **ملائكته** ﴾ لاختصاص الخبر بالثانى لوروده بصيغة الجمع وقد يجب كونه من **الثانى** نحو قوله تعالى : ﴿ **إن الله برىء من المشركين ورسوله** ﴾[8] أى برىء أيضاً لتقدم الخبر على الثانى .

---

(١) النور : ٣٦ ، ٣٧ .
(٢) الشورى : ٣ .
(٣) الزخرف : ٩ .
(٤) الأنعام : ٨٠ .
(٥) الليل : ١٤ .
(٦) التوبة : ٦٢ .
(٧) الأحزاب : ٥٦ .
(٨) التوبة : ٣ .

أنواع الحذف

النوع الأول: ما يسمى بحذف (الاقتطاع):

وهو حذف بعض حروف الكلمة وأنكر ابن الأثير ورود هذا النوع فى القرآن الكريم وردّ بأن بعضهم جعل منه فواتح السور على القول بأن كل حرف منها من اسم من أسمائه تعالى، وادعى بعضهم أن الباء فى قوله تعالى: ﴿ **وامسحوا برؤوسكم** ﴾[1]، **أول كلمة « بعض » ثم حذف الباقى**.

ومنه قراءة بعضهم: ﴿ **ونادوا يامال ليقض علينا ربك** ﴾[2] بالترخيم ولمّا سمعها بعض السلف قال: ما أغنى أهل النار عن الترخيم.

وأجاب بعضهم بأنهم لشدّة ما هم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة. ويدخل فى هذا حذف همزة « أنا » فى قوله تعالى: ﴿ **لكنّا هو الله ربى** ﴾[3] إذ الأصل لكن أنا حذفت همزة « أنا » تخفيفاً وأدغمت النون فى النون.

النوع الثانى ما يسمى بحذف (الاكتفاء).

وهو أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة، ويختص غالباً بالارتباط العطفى كقوله تعالى: ﴿ **سرابيل تقيكم الحرّ** ﴾[4] أى والبرد وخص الحرّ بالذكر لأن الخطاب للعرب وبلادهم حارّة والوقاية عندهم من الحرّ أهم لأنه أشدّ عندهم من البرد وقيل: لأن البرد تقدم ذكر الامتنان بالوقاية منه صريحاً فى قوله تعالى: ﴿ **ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها** ﴾[5] وفى قوله تعالى: ﴿ **وجعل لكم من الجبال أكنانا** ﴾[6] وفى قوله تعالى: ﴿ **والأنعام خلقها لكم فيها دفء** ﴾[7].

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: ﴿ **بيدك الخير** ﴾[8] أى والشرّ وإنما خصّ الخير بالذكر لأنه مطلوب العباد، ومرغوبهم أو لأنه أكثر وجوداً فى العالم، أو لأن إضافة الشرّ إلى الله تعالى ليس من باب الآداب كما قال ــ ﷺ ــ: « **والشرّ ليس إليك** ».

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿ **وله ما سكن فى الليل والنهار** ﴾[9] أى وما تحرك

---

(١) المائدة : ٦ .
(٢) الزخرف : ٧٧ .
(٣) الكهف : ٣٨ .
(٤) النحل : ٨١ .
(٥) النحل : ٨٠ .
(٦) النحل : ٨١ .
(٧) النحل : ٥ .
(٨) آل عمران : ٢٦ .
(٩) الأنعام : ١٣ .

وخصّ السكون بالذكر لأنه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد ولأن كل متحرك يصير إلى السكون .

ومن هذا النوع قوله تعالى : ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾[1] أى **والشهادة لأن** الإيمان بكل منهما واجب ، وآثر ذكر الغيب لأنه أمدح ولأنه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **وربّ المشارق** ﴾[2] أى والمغارب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **هدى للمتقين** ﴾ أى وللكافرين .. قاله ابن الأنبارى ويؤيده قوله تعالى : ﴿ **هدى للناس** ﴾ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **إن امرؤ هلك ليس له ولد** ﴾[3] أى ولا والد بدليل أنه أوجب للأخت النصف وإنما يكون ذلك مع فقد الأب لأنه يسقطها .

النوع الثالث ما يسمى بحذف (الاحتباك)[4] .

وهو من ألطف الأنواع وأبدعها وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره فى الثانى ويحذف من الثانى ما أثبت نظيره فى الأول .

كقوله تعالى : ﴿ **ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء** ﴾[5] **فالتقدير** : ومثل الأنبياء والكفّار كمثل الذى ينعق والذى يُنعق به فحذف من الأول الأنبياء لدلالة ﴿ **الذى ينعق** ﴾ عليه .

ومن الثانى الذى ينعق به لدلالة ﴿ **الذين كفروا** ﴾ عليه .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء** ﴾[6] فالتقدير : تدخل غير بيضاء وأخرجها تخرج بيضاء فحذف من الأول تدخل غير بيضاء ومن الثانى وأخرجها .

---

(١) البقرة : ٣ (٢) الصافات : ٥ . (٣) النساء : ١٧٦ .

(٤) يقول السيوطى : « من أنواع الحذف ما يسمى بالاحتباك وهو من ألطف الأنواع وأبدعها وقلّ من تنبّه له من أهل فن البلاغة ولم أره إلا فى شرح بديعية الأعمى لرفيقه الأندلسىّ.وذكره الزركشىّ فى البرهان ولم يسمه هذا الاسم بل سمّاه الحذف المقابلى وأفرده فى التصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين البقاعى قال الأندلسىّ فى شرح البديعية من أنواع البديع الاحتباك وهو نوع عزيز وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره فى الثانى ومن الثانى ما أثبت نظيره فى الأول » ا ــ هـ السيوطى ــ الإتقان فى علوم القرآن [جـ ٢ ص ٧٩] .

(٥) البقرة : ١٧١ . (٦) النمل : ١٢ .

قال الزركشىّ : الاحتباك هو أن يجتمع فى الكلام متقابلان فيحذف من كل منهما مقابلة لدلالة الآخر عليه كقوله تعالى : ﴿ **أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلىّ إجرامى وأنا برىء مما تجرمون** ﴾[1] .

فالتقدير : **إن افتريته** فعلىّ إجرامى وأنتم برآء منه وعليكم إجرامكم وأنا برىء ممّا تجرمون .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم** ﴾[2] . والتقدير : ويعذب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم فلا يعذبهم ومنه قوله تعالى : ﴿ **فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة** ﴾[3] أى فئة مؤمنة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل فى سبيل الطاغوت .

هذا ومأخذ التسمية **«الاحتباك»** من الحبك الذى معناه الشدّ والإحكام **وتحسين** أثر الصنعة فى الثوب ، فحبك الثوب سدّ ما بين خيوطه من الفُرج وشدّه وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق .

وبيان أخذه منه أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر فى نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حائكاً له ما نعاً من خلل يطرقه فسدّ بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق .

النوع الرابع : ما يسمى بحذف (الاختزال) :

وهو ما ليس **واحدا** مما سبق وهو أقساء لأن المحذوف إما كلمة (اسم ــ فعل ــ حرف) أو أكثر من كلمة وقد مرت الأمثلة لكل هذه الأشياء .

بقى أن نقول : إن الحذف قسمان[4] :

١ ــ قسم مفوّض إلى المستعمل وهو ما ذكرنا من أمثته .

٢ ــ قسم هو من أصل الوضع وهو أن يوضع الكلام على اقتصار وحذف وذلك مثل :

(أ) المبتدآت التى يجب حذفها .

(ب) الخبر فى بابى نعم وبئس .

---

(١) هود : ٣٥ (٢) الأحزاب : ٢٤ . (٣) آل عمران : ١٣ .

(٤) شروح التلخيص [جـ ٣ ص ٢٠٢] (عروس الأفراح لبهاء الدين السبكى) .

(جـ) العامل فى أبواب : الإغراء ــ التحذير ــ الاختصاص ــ المنادى ــ الاشتغال .

ولما كان حذف هذه الأشياء واجباً وضعاً يستوى فى ذلك كل متكلم بالعربية لا فرق بين بليغ وغير بليغ .

لمّا كان ذلك آثرت أن يكون موضوع الرسالة « الحذف البلاغىّ » إخراجاً لهذا القسم من دائرة البحث .. والله المستعان .

الرسالة **والمعجزة** ، الرسالة التى شاء الله أن تكون آخر رسالاته إلى خلقه : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾[1].

والمعجزة الخالدة الباقية ما دامت الأرض والسموات : ﴿ **إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[2] ومع إجماع العلماء والباحثين على أن القرآن هو المعجزة الكبرى لرسول الله ــ ﷺ ــ فإن تحديد جانب معيّن يتمثل فيه الإعجاز لم تجتمع عليه كلمتهم وإن كادوا يجمعون على أن نظمه المعجز وبلاغته الفائقة وجهاً من وجوه إعجازه . وفى هذا يقول الدكتور فتحى عبد القادر[3] :

« لم يكن مستغرباً أن تتعدد آراء الباحثين حول الجانب الذى يتمثل فيه إعجاز هذا الكتاب العظيم ، فقد نقلت إلينا الكتب والمؤلفات ــ **ولا تزال تنقل** ــ وجوهاً كثيرة للإعجاز تختلف من عصر لعصر ومن باحث لآخر لكنّ وجهاً من هذه الوجوه لم يحدث عليه خلاف بل كاد أن يحظى بإجماع الباحثين لعمومه وتمثله فى جميع سور القرآن وآياته وذلك هو : نظمه المعجز وبلاغته الفائقة التى أعجزت العرب الأول الذين عاصروا نزول القرآن وكانوا أهل لسن وبيان ، يتبارون فى قرض الأشعار ويتنافسون فى حبك الخطب ورصف العبارات وقد دعاهم القرآن متحدّياً لتأكيد نبوّة رسوله أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة واحدة من مثل سوره فعجزوا . ثم ينفى الدكتور فتحى عبد القادر أن تكون بلاغة القرآن المعجزة هى التى تناولها المؤلفون منذ عرف التأليف فى البلاغة مقرراً أن إعجاز القرآن البلاغىّ أمر فوق ذلك يصفه بقوله : « إنه حسن التأليف وروعة الانسجام ، وتمام الإحكام ، وما يبدو أثره الجلىّ فى هذا الإيقاع الصوتىّ ، وذلك الانسجام **القرآنى** الذى يهتزّ له ويتأثر به كل من يطرق سمعه آيات هذا الكتاب العزيز عربياً كان أم أعجمياً »[4] .

---

(١) الأحزاب : ٤ (٢) الحجر : ٩

(٣) فنون البلاغة بين القرآن وكلام العرب [ص ٦ ، ٧ ، ٩] .

(٤) وصف الدكتور فتحى عبد القادر ينطبق على ما يعرف فى النقد الحديث بالموسيقا الخفيّة ويشبهونها بالهواء يحسّ ولا يرى تشيع فى النص الجيّد فتحدث أثرها فى النفوس وهى ثمرة كمال المقومات الفنية فى النص كله .

ولعله قد بنى رأيه هذا على ما قرره فى نفس الكتاب من أن البلاغة العربية المعروفة يتبين قصورها عند التطبيق على آيات القرآن الكريم .

والحق ما ذهب إليه ، غير أننا إذا طلبنا بلاغة تحيط بكل مافى القرآن من أسرار **بلاغية فإننا نكون قد طلبنا المحال ، إنه كلام اللطيف الخبير الذى أحاط بكل شىء علماً** والدكتور فتحى نفسه قد ذكر هذا فى نفس الكتاب .

وليس معنى هذا التقليل من شأن البلاغة التى تناولها المؤلفون إذ هى كما يقرر الزمخشرى وغيره تعدّ فى مقدمة العلوم التى تعين على فهم أسرار الكتاب العزيز وتفسيره والذى لا خلاف فيه أن نظم القرآن الكريم فى أعلى درجات البلاغة بكل مقياس عرفه الأقدمون أو المحدثون أو تهتدى إليه البشرية فى كل زمان ومكان .

الحذف فى القرآن الكريم

الحذف باب من أبواب البلاغة المعروفة.لكنه فى القرآن الكريم كما أرى يتميز بما يلى :

١ ـ **هناك ألوان وضروب من الحذف تكاد لا توجد فى سواه وذلك مثل حذف** تركيب كامل ، حذف الصفة ما يسمى بحذف الاكتفاء وحذف الاحتباك ففى كل هذه الأبواب لا نكاد نجد مثالاً واحداً من غير **القرآن** الكريم أو لبعض البلغاء الإسلاميين الذين تأثروا بالقرآن الكريم وبأساليبه .

٢ ـ الحذف فى القرآن الكريم عدا ما يحققه من أسرار بلاغية ألمس له هدفاً عاماً هدفاً تربوياً فى غاية الأهمية فلو تصورنا قارئاً يرتل قول الله تعالى : ﴿ **ولو أن قرآنا سيِّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا** ﴾[1] ، أفلا تتضاعف يقظته إذا كان يقظاً أو يتنبه إن كان غافلاً أو يتجدد نشاطه إن كان قد فتر نشاطه بحثاً عن الجواب المحذوف الذى تسكن إليه نفسه ويطمئن إليه قلبه ، إن الحذف بمثابة الأسئلة التى يلقيها المعلم على تلاميذه.أثناء الدرس ليجدد نشاطهم ولينبههم إن كانوا عنه غافلين .

---

(١) الرعد : ٣١ .

وبهذا يمكن أن نعلل الكثرة الهائلة لمواضع الحذف المنبثة فى جميع سور القرآن الكريم مما يصعب معه إحصاؤها على وجه دقيق .

٣ ـ إذا كان من المتفق عليه بين جميع العلماء والباحثين على اختلاف أزمنتهم أننا لو تقصينا البحث عن كلمة تحلّ محلّ كلمة فى القرآن الكريم ما وجدنا غيرها يصلح فى مكانها فبالقياس على هذا أستطيع أن أقول : إن كل محذوف فى القرآن الكريم ما كان ينبغى إلا أن يكون محذوفاً .

٤ ـ إذا كان من المعلوم أن الحذف فى البلاغة لكل امرىء ما نوى فنحن كبشر قد تتحد الأفكار وتتقارب المشاعر والأحاسيس فنستطيع الوصول إلى المحذوف من كلام البشر من أيسر طريق .

أما إذا كان الأمر يتعلق بكلام الله ـ عز وجل ـ فلا سبيل إلا بتوفيقه سبحانه وبهذا يمكن أن نعلل اختلاف العلماء فى تقدير المحذوف .

ولهذا يمكن أن أقول : إن باب الحذف فى القرآن الكريم سيظل الباب البكر دون سائر أبواب البلاغة يجد فيه كل باحث فى أى زمان من الجديد بقدر توفيق الله إياه : ﴿ **تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علاّم الغيوب** ﴾[1] .

---

(١) المائدة : ١١٦ .